

بسطة نظرية

كثيراً ما يتساءل المرء حين يقف أمام قصيدة مندهشاً مبهوراً: أيعود إعجابه بتلك القصيدة وما تحققه من دهشة إلى الموضوع الذي تطرحه، أي إلى مضمونها، أم إلى صورها ووزنها وإيقاعها، أم إلى لغتها، أم إلى كل هذه العناصر مجتمعة متألّفة. لقد اختلف النقاد والدارسون في تعليل سبب إعجابنا بقصيدة ما دون أخرى، حتى بات من المستحيل تحكيم قواعد عامة يمكن تطبيقها على كل قصيدة، لتقول لنا تلك القواعد إن جمال هذه القصيدة أو تلك يعود إلى مجموعة من عناصر الشكل، أو إلى ما اصطلاح عليه بالمضمون. إن كل قصيدة لها مفتاحها الخاص، وهي تطرح طريقة دراستها ونقدها. في هذه الدراسة أحاول أن أفيد من فكرين مستقلين نظرياً ولكنهما مندغمان تطبيقاً:

الأول: الفكر الجمالي المعاصر

الثاني: التطبيق النقدي.

بيد أنني لن أسرف في الحديث عن الفكر الأول إلا بمقدار ما يفيد في إضاءة النص الفني المدروس وتعميق النظرة في بنيته الداخلية.

وسأقوم في القسم الأول من قراءتي بإضاءة الملامح العامة لفهم كولردج Coleridge للإبداع الفني مستلهماً وممهداً لتأسيس منهج في دراسة القصيدة.

حاول كولردج^(١) أن يتعرف على الصفات التي يمكن أن تعد من الإرهاصات الأولية للقدرة الشعرية الحقة، أو من العلامات المميزة لها، فتكون من دلائل العبقرية الخلاقية. وبعد قراءات طويلة وغوص في فلسفة كل من «كانت» Kant وبخاصة تفرقته بين العقل والفهم المنطقي، ونظرته إلى الخيال باعتباره وسيطاً بين معطيات الحس وصور الفهم المنطقي المجرد^(٢)،